مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيــــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

الإعجاز النفسي وآفات النفس الإنسانية وعلاجها وتوجيهها في القرآن الكريم(*)

د/ منال محمود أحمد الوكيل
الأستاذ المساعد قسم الدراسات الإسلامية
كلية الشريعة والقانون، جامعة تبوك
تبوك – السعودية

*) تاريخ تسليم البحث 26/3/2024 تاريخ قبوله للنشر 2/5/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

الإعجاز النفسي وآفات النفس الإنسانية وعلاجها وتوجيهها في القرآن الكريم

د/ منال محمود أحمد الوكيل
الأستاذ المساعد قسم الدراسات الإسلامية
كلية الشريعة والقانون، جامعة تبوك
تبوك – السعودية

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع الإعجاز النفسي وبيان مفهومه، وتحديد بعض آفات النفس الإنسانية كالحسد والكبر، والرياء، والهوى وعلاجها من خلال القرآن الكريم، كما أرشدت إلى الطرق الصحيحة المزيلة لهذه الآفات، مع بيان التوجيهات القرآنية والتدابير الوقائية لحماية النفس من الأمراض والآفات النفسية عن طريق عبادة المولى ﷻ، وإخلاص العبادة له، ومحاسبة النفس ومراقبتها في السر والعلن.

فالقرآن الكريم كتاب ومنهج أنزله المولى ﷻ على نبينا محمدﷺ ليكون هادياً ونذيرا وشفيعاً، وشفاء لما في الصدور.

الكلمات المفتاحية: الاعجاز النفسي، آفات النفس، علاجها وتوجيهها.

Psychological Miracle signs and the Defects, Treatment and Guidance of the Human Soul in the Noble Quran

Dr. Manal Mahmud Ahmad Al-Wakeel
Assistant Professor in Department of Islamic Studies
Faculty of Shariah and Law, Tabuk University
Tabuk, Saudi Arabia

Abstract

This research addresses the topic of (The Psychological Miracle Signs..) stating its concept and identifying some defects of the human soul, such as envy, arrogance, showing-off(hypocrisy), vain desires, and their treatment through the Noble Quran.

The study also guides to the correct methods for eliminating these defects, together with explaining Quranic guidelines and protective measures to safeguard the soul against diseases and psychological defects by worshipping Allah, the Patron, and being sincere in his worshipping of Allah, in addition to self-accounting and monitoring oneself , in secret and in public, for the Noble Quran is a Book and a Method sent down from Allah, the Patron, to our Prophet, PBUH, to be a guide, a warner, an intercessor, and a healer for what is in the breasts.

Keywords: psychological miracle, psychological afflictions, treatment and guidance.

مقدمة:

الحمد لله الَّذي جعل العلم ميراث الأنبياء، وجعل ورثته هم العلماء، الَّذين هم أكثر النّاس خشية لربهم وأعرفهم بِهِ، ولذَلِكَ شرفهم ربهم بأعلى الدّرجات، نحمده سبحانه أن جعل العلم سبيل العارفين، ومنار السّالكين، ونورًا وهدى للعالمين، وهاديًا إِلَى الحق وإِلى صراط مستقيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك لَهُ، لَهُ الملك وله الحمد، وصف نفسه بالعليم، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة: ٧] وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، معلم النّاس الخير من بعثه الله بالعلم والهدى والنور رحمة للعالمين، صلى الله عَلَيْهِ وعلى آلة وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد.

فإن خير ما صرفت فِيهِ الجهود، ووقفت لأجله الأعمار، هُوَ خدمة كتاب الله عز وجل تفسيرًا وشرحًا؛ ولهَذَا أفنى جهابذة من العلماء أعمارهم فِي خدمة كتاب الله، فنعم ما صنعوا، فتفننوا فِي تنويع علومه، فمنهم من اهتم ببيانه وبلاغته، ومنهم من اهتم بأسلوبه وتركيبه، ومنهم من اهتم بإعجازه ومجازه، فهو المعجزة الخالدة لكل الدّهور والأزمان، فعلومه غير متناهية، وفيه من العلوم ما يناسب كل عصر ويلائم كل مِصر.

فالقرآن من شأنه إذا استمع إليه إنسان أن تتحرك مشاعره، ويهتز قلبه، ويقشعر بدنه خوفًا ويعتصر فؤاده رجاء، لما فِيهِ من جمال الأسلوب، وقوة التعبير. وسأقف فِي موضوعي هَذَا مع وجه من أوجه الإعجاز فِي القرآن الكريم؛ لأستخلص حقيقة الإعجاز النّفسي فيه، ومدى تأثير القرآن فِي النّفس الإنسانية وعلاجها من خلاله.

فأسأل الله التوفيق فإن وفقت فيما رُمت، فهو بتوفيق من البارئ تبارك وتعالى وفضل مِنْه، وإن كان غير ذَلِكَ، فهو من نفسي ومن الشّيطان الرّجيم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١-أهمية دراسة الإعجاز التأثيري للقرآن في النفس الإنسانية.

٢-تسليط الضّوء عَلَى بعض آفات النّفس الإنسانية وعلاجها فِي القرآن الكريم.

٣-أثر الإعجاز فِي تقوية الإيمان فِي القلب وتثبيته.

أهداف البحث:

١-دراسة الإعجاز النّفسي؛ لكونه وجهًا من وجوه الإعجاز.

٢-إثبات إعجاز القرآن من خلال أثره فِي النّفس الإنسانية.

٣-التعرف عَلَى بعض الآيات القرآنية الَّتِي تناولت هَذَا الموضوع.

أهم الدّراسات السّابقة

فِي حدود اطلاع الباحثة وجدت بعض الأبحاث الَّتِي أفردته بالدراسة، وبعض الدّراسات الَّتِي تناولت جانبًا من جوانبه:

١- **الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم**، محمد عطا أحمد يوسف، بحث منشور في مجلة مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد السادس والثلاثون عام ١٩٩٨م.

٢- **الإعجاز النّفسي معناه وأدلته**، أ.د. أَحْمَد شكري موجود، منشور ضمن بحوث مؤتمر "الإعجاز فِي القرآن الكريم" بفلسطين عام ٢٠٠٠م.

٣- **الإعجاز التأثيري فِي القرآن الكريم**، د. زياد عواد أبو حماد، بحث منشور فِي مجلة جامعة دمشق، العدد الأول ٢٠٠٢م.

٤- **الإعجاز النّفسي فِي القرآن الكريم (دراسة تأصيلية)**، عبد الله علي أبو السّعود وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من الجامعة الأردنية عام ٢٠٠٥م.

٥- **الإعجاز النّفسي فِي الخطاب القرآني**، قويدر قيطون، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدّكتوراه، جامعة قسنطينة بالجزائر ٢٠١٤م.

٦- **إعجاز النّفس الإنسانية فِي القرآن الكريم صفاتها- مراتبها - علاج عيوبها**، د. حبيبة شهرة، بحث منشور فِي مجلة كلية دار العلوم، القاهرة، العدد ثلاث وتسعون لعام ٢٠١٦م.

منهج البحث:

تتطلب طبيعة البحث أن أتبع المنهج الاستقرائي الاستنباطي التحليلي؛ حيث سأقوم بتتبع بعض من الآيات القرآنية وتفسيرها من كتب التفسير الَّتِي تخدم بحثي، وتحليل عبارات الآية المتعلقة بالموضوع وبيان دلالاتها.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن تكون فِي مقدمة ومبحثين وخاتمة وهي عَلَى النّحو التالي:

المقدمة: تشمل أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وأهم الدّراسات السّابقة، ومنهج البحث وخطته.

المبحث الأول: تعريفات الإعجاز النّفسي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإعجاز لغة واصطلاحًا.

المطلب الثّاني: تعريف النّفس لغة واصطلاحًا.

المطلب الثّالث: تعريف الإعجاز النّفسي فِي القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الإعجاز النّفسي وآفات النّفس الإنسانية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آفات النّفسية وعلاجها فِي القرآن الكريم.

المطلب الثّاني: توجيهات قرآنية للنفس الإنسانية.

الخاتمة: وفيها أهم النّتائج الَّتِي تم التوصل إليها.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول: تعريفات الإعجاز النّفسي

المطلب الأول: تعريف الإعجاز لغة واصطلاحًا

أولًا: الإعجاز فِي اللغة

(عجز) العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما عَلَى الضّعف، والآخر عَلَى مؤخر الشّيء، و(العَجْزُ) أصله التَّأَخر عن الشّيء، وحصوله عند عَجُز الأمر، أي: تأخره[1].

قال ابن منظور فِي لسان العرب: وهو نقيض حَزْم، يقال: عَجَز عن الأَمر يَعْجِزُ عَجْزًا، و(العَجْزُ) الضّعْفُ تقول: عجزت عن كذا. وفي حديث عمر ﷺ: «**ولا تلبثوا بدار معجزة**» أي لا تقيموا فِي موضع تعجزون فِيهِ عن الكسب[2].

ومن ذَلِكَ يتضح لنا أن الإعجاز فِي أصل اللغة مأخوذ من العجز الَّذي يدل عَلَى الضّعف والتأخر.

ثانيًا: الإعجاز اصطلاحًا

الإعجاز فِي الكلام هُوَ أن يؤدى المعنى بطريق هُوَ أبلغ من جميع ما عداه من الطّرق[3]، وإعجاز القرآن مركب إضافي، معناه إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم بِهِ[4]. فالمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النّبي ﷺ فِي دعوى الرّسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته فِي معجزته الخالدة[5].

أما المعجزة: فهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية[6]. وإذا قمنا بالنظر إِلَى هَذِهِ التعريفات فستدّلنا إِلَى معنى إجمالي للإعجاز، وهو ما يمنحه الله لنبيه ليدلل عَلَى صدق نبوته، قال ابن خلدون عن المعجزة: "...وليس للنبي فِيهَا عند سائر المتكلمين إلا التحدي بِهَا بإذن الله، وهو أن يستدل بِهَا النّبي قبل وقوعها عَلَى صدقه فِي مدعاه، فإذا وقعت تنزلت منزلة القول الصّريح من الله بأنه صادق، وتكون دلالتها حينئذ عَلَى الصّدق دلالة قطعية"[7].

المطلب الثّاني: تعريف النّفس لغة واصطلاحًا

أولًا: النّفس فِي اللغة

ورد لكلمة النّفس فِي اللغة العربية كثير من المعاني وسوف أذكر هنا بعضًا منها.

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص٥٤٧)، مقاييس اللغة (٣٢٣/٤).

(٢) انظر: لسان العرب (٣٦٩/٥)، مختار الصحاح (ص٢٠٠). والحديث أخرجه الصنعاني في مصنفه برقم (٩٢٥٠) كتاب المناسك باب ذكر الغيلان والسير بالليل (١٦٢/٥).

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني (ص٣١).

(٤) انظر: مناهل العرفان (٣٣١/٢).

(٥) انظر: الواضح في علوم القران (ص٢٦٥).

(٦) الإتقان في علوم القرآن (٣/٤).

(٧) مقدمة ابن خلدون (١١٧/١).

النفس وجمعها النّفوس وهي: الرّوح الَّذي بِهِ حياة الجسد، يقال: خرجت نفسه[١] ولكل إنسان نفس حتى آدم عَلَيْهِ السّلام. ومنه قوله تعالى: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣] حكاية لقول الملائكة لَهُم عند بسط أيديهم لتعذيبهم أو لقبض أرواحهم، ومعناه أخرجوها من أبدانكم[٢].

وتأتي النّفس بمعنى العين. يقال: أصابت فلانًا نفس إذا أصابته عين[٣]. والنفس: الدّم. يقال: سالت نفسه[٤].

والنفس: ما يكون بِهِ التمييز، والعرب قد تجعل النّفس الَّتِي يكون بِهَا التمييز نفسين، وذَلِكَ أن النّفس قد تأمره بالشيء وتنهى عنه، وذَلِكَ عند الإقدام عَلَى أمر مكروه، فجعلوا الَّتِي تأمره نفسًا وجعلوا الَّتِي تنهاه كأنها نفس أخرى [5].

ثانيًا: النّفس فِي الاصطلاح

لقد أسهم العديد من العلماء المسلمين ببيان النّفس وإظهار معانيها ولهم فِيهَا أقوال، ومن هَذِهِ الأقوال ما يأتي:

إن النّفس هِيَ الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية. وهُوَ جوهر مشرق للبدن، فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه. وأما فِي وقت النّوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه[٦].

قال الألوسي: "الجوهر المتعلق بالبدن تعلق التدبير، والتصريف أو الجسم النّوراني الخفيف الحي المتحرك النّافذ فِي الأعضاء، السّاري فِيهَا، سريان ماء الورد فِي الورد"[٧].

قال أبو حامد الغزالي: "النفس الإنسانية هي الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل بالاختيار العقلي والاستنباط بالرأي ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية"[٨].

والعلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، أن المعنى الاصطلاحي هُوَ أحد المعاني اللغوية.

والذي تطمئن النفس له أن النفس تشمل جميع ما ذكر من تعريفات بل تزيد عليه لتشمل الروح.

---

(١) انظر: العين (٢٧٠/٧).

(٢) انظر: تفسير المنار (٥٢١/٧).

(٣) انظر: جمهرة اللغة (٨٤٨/٢).

(٤) انظر: الصحاح (٩٨٤/٣).

(5) لسان العرب (٢٣٤/٦).

(٦) التعريفات للجرجاني (ص٢٤٢).

(٧) تفسير الألوسي (٤٤/٩).

(٨) معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص٢١).

المطلب الثّالث: تعريف الإعجاز النّفسي فِي القرآن الكريم

وهَذَا سر من أسرار الإعجاز فِي القرآن يكمن فِي ذاته، وفِي أثره عَلَى الأسماع وتأثيره عَلَى القلوب. فبه يخاطب الله تعالى ملكات خفية للنفس يعرفها، وهَذِهِ الملكات تنفعل حَيْثُمَا يُقرأ القرآن. والخطّابي أول من أشـــار إِلَى هَذَا الوجه من وجوه الإعجاز[١] حين قال: "فِي إعجاز القرآن وجهًا آخر ذهب عنه النّاس فلا يكاد يعرفه إلا الشّاذ من آحادهم , وذَلِكَ صنيعه بالقلوب وتأثيره فِي النّفوس"[٢].

وذكره صاحب مناهل العرفان فقال: "الوجه الرّابع عشر: تأثير القرآن ونجاحه ومعنى هَذَا أن القرآن بلغ فِي تأثيره ونجاحه مبلغًا خرق بِهِ العادة فِي كل ما عرف من كتب الله والناس وخرج عن المعهود فِي سـنن الله من التأثير النّافع بالكلام وغير الكلام وبيان ذَلِكَ أن الإصـــلاح العام الَّذي جاء بِهِ القرآن والانقلاب العالمي الَّذي تركه هَذَا الكتاب ما حدث ولم يكن ليحدث فِي أي عهد من عهود التاريخ قديمه وحديثه إلا عَلَى أسـاس من الإيمان العميق القائم عَلَى وجدان قوي بحيث يكون لَهُ من السـلطان القاهر عَلَى النّفوس والحكم النّافذ عَلَى العواطف والميول ما يصد النّاس عن نهجهم الأول فِي عقائدهم الَّتِي توارثوها"[٣].

وعنون القاضـــي عياض[٤] لهَذَا اللون من الإعجاز بعنوان (روعة القرآن الكريم فِي السّـــمع وهيبته فِي القلوب) فيقول: "ومنها الرّوعة الَّتِي تلحق قلوب ســـامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة الَّتِي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره"[٥].

فالقرآن يؤثر فِي نفوس سـامعيه تأثيرًا خارقا للعادة، خارجًا عما ألفه النّاس، سواء أكان كلامًا الهيًّا، أم كلامًا بشـريًّا، دون أن يصـحب هَذَا التأثير عوامل ترهيب، أو عوامل ترغيب[٦]. ولنا فِي واقعنا خير دليل؛ فقد نسـتمع إِلَى الشّـعراء فنتأثر بهم ونعجب بما يقولون، ونجد لأحدهم فِي قصـيدته أو أبيات مِنْهَا ما لا تجده لغيره، وحينما نبحث عن سبب ذَلِكَ فلن نجد إلا ما وفق إليه أحدهم من حُسـن الدّيباجة، واختيار الألفاظ، فإن كان هَذَا واضـحًا فِي كلام النّاس، فإن كلام الله تعالى وهو فِي أعلى طبقات البلاغة حري أن يكون لَهُ ذَلِكَ الأثر.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (١٠٦/٢).

(٢) بيان إعجاز القرآن (ص٧٠).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن (٤٠٥/٢).

(٤) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته توفي عام٥٤٤هـ. انظر: الأعلام (٩٩/٥).

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص٥٢٩).

(٦) انظر: أسرار إعجاز القرآن (ص١٩٩).

أما السّيوطي فقد جعل الإعجاز النّفسي ضمن وجوه الإعجاز، التي عدّها خمسة وثلاثين وجهًا[١].

وقد قلّل بعضهم من بقية جوانب إعجاز القرآن، وكاد يقصره عَلَى هَذَا الوجه، وأُطلق عَلَيْهِ (الإعجاز الرّوحي) مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ٥٢﴾ [الشورى: ٥٢] مشيرًا إِلَى أن القرآن يؤثر بهَذَا الاعتبار تأثير الرّوح فِي الأجساد فيحركها ويتسلط عَلَى أهوائها، فالآية المتقدمة الذّكر تكفي فِي إرشادنا إِلَى جهة إعجازه[٢] فِي النّفس. ونجد هَذِهِ التعريفات تبحث فِي مجالين:

أولًا: حديث القرآن عن النّفس الإنسانية وبيانه لصفاتها وكشفه لخفاياها.

ثانيًا: تأثير القرآن فِي النّفس الإنسانية سواء أكانت مؤمنة أم كافرة[٣].

وهكذا نرى أن القائلين بهَذَا الوجه يرون أسرار الإعجاز تسطع أنوارها عَلَى القلب فتنفتح فِيهِ أبواب الإيمان، فحلاوة كلامه تأخذ بمجامع القلوب وتستولي عَلَى وجود الإنسان. فأثره كامن فِي شيء فوق معانيه، وأن سره فِي الرّوحانية الَّتِي حدثنا عنها، فالقرآن فوق البلاغة والعذوبة، فيه طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشّأن فِي نفس الإنسان يهز وجدانه، ويصقل روحه، ويوقظ إدراكه وتفكيره. لما لَهُ من سلطان عَلَى الفطرة الإنسانية وسرّه الخاص فِي التأثير عَلَيْهَا بمجرد تلاوته أو حتى مجرد سماعه، فهو سر مودع يشعر بِهِ كل من يواجه نصوصه ابتداء، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فِيهَا، يشعر بشيء ما وراء المعاني الَّتِي يدركها العقل من التعبير[٤].

ولهَذِهِ الحقيقة كان أئمة الكفر يخشون سماع القرآن خوفًا أن تميل قلوبهم، لإدراكهم بقوته وتأثيره فِي النّفس البشرية، بل يمنعون سماعه ويعتدون عَلَى من يتلوه فِي الأماكن العامة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت: ٢٦] ولا يمكن أن يكون هَذَا مسلكهم إلا خوفًا مما يفعله القرآن من جذب النّفوس للإيمان بالله.

ولا شك فِي هَذَا ولا غرابة فالجمادات الَّتِي لا روح فِيهَا يمكن أن تتأثر من روحانية القرآن وتوجل من هيبته، قال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الحشر: ٢١].

---

(١) انظر: معترك الأقران (١٨٢/١).

(٢) انظر: دائرة معارف القرن العشرين (٦٧٧/٧).

(٣) انظر: دائرة معارف القرن العشرين (٦٧٧/٧).

(٤) انظر: تأثير القرآن الكريم في نفوس سامعيه (ص٥).

المبحث الثاني: الإعجاز النّفسي وآفات النّفس الإنسانية

المطلب الأول: الآفات النّفسية وعلاجها فِي القرآن الكريم

القرآن الكريم فِيهِ من عطاء الله ما تحبه النّفس البشرية ويستميلها، فهو يخاطب ملكات خفية لا نعرفها نحن، ولكن يعرفها الله سبحانه وتعالى. وهَذِهِ الملكات تنفعل حينما يُقرأ القرآن، ونجده يعتني بالنفس الإنسانية؛ بحيث إنه لم يترك زاوية من الزّوايا أو جانبًا من الجوانب إلا وتعرض لَهَا، فلقد تناول نفوس النّاس وقلوبهم، وعرف أنه هنا يكمن سر قوة الإنسان. فالإصلاح يبدأ مِنْهَا وينتهي إليها، وأرشدنا إِلَى أمراض وعلل النّفس وألوان قصورها وعلاجها.

وسأذكر بعض الآفات النّفسية الَّتِي تصيب النّفس وتفسد تصورها وإرادتها؛ فتصورها بالشبهات الَّتِي تعرض لَهَا حتى لا ترى الحق أو تراه عَلَى خلاف ما هُوَ عَلَيْهِ، وإرادتها بحيث تبغض الحق النّافع وتحب الباطل الضّار وعلاجها فِي القرآن الكريم.

أولًا: الحسد

وهو تمني زوال النّعمة من مستحق لَهَا وربما كان مع ذَلِكَ سعي فِي إزالتها[1]. وهو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود، وله نوعان:

الأول: كراهة للنعمة عَلَى المحسود مطلقًا، فهَذَا هُوَ الحسد المذموم. فإنه يتألم ويتأذى بوجود ما يبغضه فيكون ذَلِكَ مرضًا فِي قلبه ويلتذ بزوال النّعمة عنه وإن لم يحصل لَهُ نفع بزواله.

الثاني: أن يكره فضل ذَلِكَ الشّخص عَلَيْهِ فيجب أن يكون مثله أو أفضل مِنْه فهَذَا حسد[2]؛ وهو الغبطة.

وقد سماه النّبي ﷺ حسدًا ويؤيده الحديث الَّذي رواه ابن مسعود قال: سمعت النّبي ﷺ: «**رجل آتاه الله مالًا، فسلطه عَلَى هلكته فِي الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بِهَا ويعلمها**»[3].

والحسد مرض من أمراض النّفس وهو مرض غالب فلا يخلص مِنْه إلا القليل من النّاس ومنشؤه من خبث النّفس وابتلائها بالشح والبخل حتى تصل إِلَى قرار سحيق فيزعزعها أن تشاهد نعم الله وألطافه مبسوطة عَلَى عباده، كما أنها تطير فرحًا فيما تشاهد من ابتلاء. وهو مناقض لقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[4] ودوافع هَذَا المرض أن يكون فِي طمع الحاسد أن يتكبر عَلَى المحسود ويستصغره فيتوقع مِنْه الانقياد والمتابعة فِي إعراضه وإذا نال نعمة خاف أن لا يتحمل تكبره ويترفع

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص٢٣٤).

(٢) انظر: مسلك الأتقياء (ص٢١٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٤٠٩) كتاب الزكاة باب إنفاق المال في حقه (١٠٨/٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٥) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (٦٧/١).

عن متابعته[1] وقد عرض القرآن الكريم لهَذَا المرض فِي العديد من الآيات إما كاشفًا لَهُ، أو فاضحًا لأصحابه، أو معالجًا لأعراضه وظواهره.

يقول تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠] فِي هَذِهِ الآية يكشف الله السّتار عن حقد المنافقين وتمنيهم السّوء ليس عَلَى نبي الأمة فقط، إنما عَلَى كل من وحد الله وآمن برسوله ﷺ. وحالتهم هَذِهِ تدل عَلَى شدة عداوتهم للمؤمنين، فإذا أصاب المؤمنين نعمة أو خير أو نصر وتأييد وكثرة، ساء ذَلِكَ المنافقين وإن أصاب المسلمين شر كجدب أو تغلب الأعداء عليهم فرح المنافقون بذَلِكَ. ويلاحظ فرق التعبير البلاغي فِي القرآن بين جملتي (مس الحسنة وإصابة السّيئة)، فكأن الكلام – والله أعلم – إن تصبكم الحسنة أدنى إصابة تسؤهم ويحسدوكم عَلَيْهَا. وإن تمكنت الإصابة منكم وانتهى الأمر فِيهَا إِلَى الحد الَّذي يرثي الشّامت عنده مِنْهَا، فهم لا يرثون لكم ولا ينفكّون عن حسدهم، بل يفرحون ويسرون، فدل التعبير عَلَى إفراطهم فِي السّرور والحزن، وهَذَا من أسرار بلاغة التنزيل[2].

وفي معرض الإنكار والتشهير يقول تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩] يفضح الله عز وجل أهل الكتاب فِي هَذِهِ الآية فِي حبهم ورغبتهم رد المؤمنين عن دينهم وإعادتهم إِلَى الشّرك، والود فِي أصل اللغة: محبة الشّيء وتمني كونه[3] ومنه الودادة من أهل الكتاب الَّتِي تحتوي فِي ظاهرها المحبة وفي داخلها البغض، ثم عبر بـ (أهل الكتاب) ولم يقل اليهود والنصارى ليدل عَلَى كيدهم للإسلام والمسلمين، حيث إنهم جميعًا أهل كتاب. ولما حظي المسلمون بالنبوة الخاتمة والكتاب الدّائم كان ذَلِكَ مدعاة للحسد، ثم قال (لو) وهو حرف امتناع ودليل عَلَى استحالة ما تمناه اليهود والنصارى، وقوله (من بعد) ظرف زمان يدل عَلَى عمق الإيمان فِي نفوس المؤمنين. واستعمال القرآن لهَذِهِ الألفاظ يدل عَلَى أسلوب أهل الكتاب فِي التعامل مع المسلمين، وهو نموذج لفضح حقدهم عليهم، وفي ذَلِكَ يظهر إعجاز القرآن النّفسي الَّذي حرص القرآن عَلَى تسوية النّفس لتسمو فِي ذاتها من أمراض القلوب[4].

(١) انظر: النظام التربوي في الإسلام (ص٢٧٤)، النفس أمراضها وعلاجها في الشريعة الإسلامية (ص٢٥٨).

(٢) انظر: تفسير الشوكاني (٤٣١/١)، تفسير القاسمي (٣٩٦/٢)، التفسير المنير (٥٨/٤).

(٣) انظر: تاج العروس (٢٨٧/٩).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (١٢٦/١)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (٦٠١/٦)، بحث منشور في مجلة كلية دار العلوم بالقاهرة وأصلها رسالة علمية بعنوان (إعجاز النفس الإنسانية في القرآن الكريم صفاتها- مراتبها – علاج عيوبها) دراسة تأصيلية، العدد ٩٣ لعام ٢٠١٦م (ص٤٧٤).

ولقد سعى القرآن الكريم للحد من هَذَا المرض، فلم يكتف ببيان أعراضه وعلاجه، **ولكن وضع وسائل لعلاجه ومنها:**

١-ترويض النّفس وتهذيبها فِي أن الرّزق من عند الله تعالى ودليل ذَلِكَ قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢].

٢-أن يعلم أن الحسد عدو نعمة الله وأن النّبي ﷺ قال «**لا تحاسدوا**»(١).

٣-الصبر عَلَى المصاب وعدم التفكير فِيهِ يجعل العبد يرضى عن الله بلا ضجر أو تسخط، وهو من الأمور المعالجة للنفس والبدن من جميع الآفات بما فِيهَا الحسد، لأن من صبر مع فهمه عمق الاحتساب عند الله فقد عالج نفسه، وأتى لَهَا بما يحقق لَهَا السّعادة والاطمئنان بأن الله تعالى بيده الخير، وهو قادر عَلَى رد كل أذى أو كيد أو شر قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ثانيًا: الكبر واحتقار الآخرين:

وهو حالة يتخصص بِهَا الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره(٢)، والاستكبار عَلَى وجهين:

أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يكون كبيرًا، وذَلِكَ متى كان عَلَى ما يجب، وفى المكان الَّذي يجب، وفى الوقت الَّذي يجب فمحمود.

والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس لَهُ، فهَذَا هُوَ المذموم(٣)، وعليه ورد القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٣٤﴾ [البقرة: ٣٤]. والآيات فِي ذم الكبر كثيرة مِنْهَا: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ٢٣﴾ [النحل: ٢٣].

وبين القرآن فِي بعض آياته عن أسباب التكبر: كالإفراط فِي التعجب ومغالاة الإنسان فِي تقييم نفسه كقول النّمرود لإبراهيم عَلَيْهِ السّلام: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨]، والتكبر بالمال؛ فلا يتكبر إلا إذا آنس من نفسه الثّراء والمنصب كقصة صاحب الجنة فِي قوله﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤﴾ [الكهف: ٣٤].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مسنده (١٣/١٥٩).

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز (٤/٣٢٥).

(٣) انظر: تاج العروس (١٤/٩).

ومما يعين العبد عَلَى علاجه أمور كثيرة، نذكر ما تيسر مِنْهَا:

١-معرفة ذم الله للمُتَكبّرين، كما فِي مواضع من كتابه قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٦٠].

٢-أن يعرف المتكبر واقعه[١]، وما يتصف بِهِ من ألوان الضّعف والعجز: فأوله نطفة قذرة، وآخره جيفة نتنة، وهو بينهما عاجز واهن، ينتابه الفقر والضر، ويدركه الموت والبلاء، لا يقوى عَلَى جلب المنافع ورد المكاره، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ [النحل: ٤].

ثالثًا: الرّياء

وهو من أعظم الكبائر، ويدل عَلَى خبث السّريرة، وحقيقته طلب ما فِي الدّنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة فِي قلوب النّاس[٢]. وقد أخبر عنه القرآن وذمه، وكشف خفايا النّفس الَّتِي تحتضنه قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الماعون: ٥-٦] فهو مرض ليس بمحسوس وهو يمشي فِي النّفس البشرية مثل دبيب النّمل، فلا يسلم مِنْه أحد إلا العارفين بالله؛ لأنهم ارتفعوا عن رؤية أنفسهم بما أودعه الله فِي قلوبهم من نور اليقين.

وحذر المولى فِي كتابه من الرّياء بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧] وهو أخفى من دبيب النّملة السّوداء عَلَى الصّخرة السّوداء، **وعلاجه:**

١-عبادة الله وحدة لا شريك لَهُ واخلاص العبادة لَهُ، يقول ابن تيمية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ۝٥﴾ تدفع الرّياء[٣] [الفاتحة: ٥].

٢-التوكل عَلَى الله وطلبه الإخلاص قولًا وعملًا والهداية، قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

٣-معرفة خطر الرّياء ومضرته، فإنه يحبط العمل فِي كثير من صوره، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

---

(١) انظر: مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل (ص١٤٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢١٢/٢٠).

(٣) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى(١٧٥/١).

رابعًا: الهوى

يطلق الهوى عَلَى ميل الطّبع إِلَى ما يلائمه وهو بمعنى المحبة والميل مطلقًا، فيدخل فِيهِ الميل إِلَى الحق وغيره. فالهوى فِي الأصل ميل النّفس إِلَى ما تهواه، فإن مالت إِلَى ما يخالف الشّرع فهو الهوى المذموم، وإن مالت إِلَى ما يوافق الشّرع فهو الممدوح، وإذا ذكر الهوى مطلقًا أو ذكر ذمه فإنما يراد بِهِ الهوى المذموم(١).

وهو آفة الآفات يوم أن تكون محبة الشّخص لغير الله وموالاته ومعاداته فِي سبيل دنياه وأهوائه وهو موصل صاحبه بلا شك إِلَى الهلاك، وحذر القرآن فِي كثير من الشّواهد من اتباع الهوى وميل النّفس عن الحق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]وقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

والهوى إما أن يتملك صاحبه ويملكه كما قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣] قال ابن كثير: "أي مهما استحسن من شيء ورآه حسنًا فِي هوى نفسه كان دينه ومذهبه"(٢).

وإما أن يغالبه فيقهره مرة ويقهر مرة، وعلى الإنسان مجاهدة نفسه قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨] وقال رسوله ﷺ: «**أفضل الجهاد أن يجاهد الرّجل نفسه وهواه**»(٣)، وإما أن يغلب هواه ككثير من الأنبياء وبعض صفوة الأولياء، وهَذَا المعنى قصد بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

وقد أبان القرآن الكريم عن كثير من صفات أصحاب الهوى، وحذر من عاقبته، وكشف لنا عن عدد من المخاطر الَّتِي تلحق بصاحب الهوى، ومن ذَلِكَ:

١-يشير القرآن الكريم إِلَى أن اتباع الهوى كان سببًا فِي تسلل الاستكبار إِلَى نفوس الكافرين، فدفعهم إِلَى عدم الإيمان بالرسل، فكذبوهم قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

٢-إن صاحب الهوى يضل بِهِ هواه ويذله حتى يعبده من دون الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣](٤).

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٣٩٩/٢)، ذم الهوى (ص١٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١١٣/٦).

(٣) أخرجه السيوطي من طريق أبي ذر في الجامع الصغير (ص١٩٧٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٢٤٧/١).

(٤) انظر: شفاء العليل (ص٨٥).

٣-ومن أخطر ما يصيب صاحب الهوى أن يصاب قلبه بالغفلة، فيران عَلَيْهِ، ويوضع بينه وبين قبول الحق حجاب مانع، وسد فاصل قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

٤-ومن الأخطار الَّتِي يقصها القرآن عن أصحاب الأهواء أن صاحب الهوى لا يفكر فِي الآخرة، فالدنيا هِيَ همه الأول، وشغله الشّاغل قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٥-١٦][1].

كما أن لكل مرض من أمراض البدن وقاية يتقي بِهَا الإنسان المرض قبل وقوعه أو دواءً يعالج بِهِ المرض بعد وقوعه فكذَلِكَ أمراض القلوب، فقد جاء بيان دوائها وشفائها فِي كتاب الله عز وجل، وعلاج اتباع الهوى بمخالفته فهواك داؤك، فإن خالفته فدواؤك[2]. ومنه أيضًا:

١-الإيمان بالله والتحذير من الرّكون إِلَى الدّنيا والاطمئنان بِهَا[3] قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

٢-التذكير بأن السّعادة والرّاحة والطّمأنينة والفوز إنما هِيَ فِي اتباع المشروع لا فِي اتباع ما تملى النّفس وما تهوى قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣].

٣-اجتناب مجالسة أهل الأهواء، عن مجاهد قال: (لا تجالسوا أهل الأهواء، فإن لَهُم عرة كعرة الجرب) يعني: أن مجالس صاحب الهوى لا يسلم من الشّر فإما أن يتابع صاحب الهوى عَلَى هواه وباطله، أو يدخل عَلَيْهِ شبهة فِي دينه الَّذي يعرف أنه حق[4].

٤-ملء القلب بما يضاد الهوى وذَلِكَ بملئه بمحبة الله والإيمان بِهِ والقرب مِنْه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة: ٣٥]. فالإيمان بالله يكسب الوقاية من الإصابة بالأمراض النّفسية.

ويعترف الدّكتور يسري عبد المحسن أستاذ الأمراض النّفسية بجامعة القاهرة أن القرآن الكريم سبب مباشر وغير مباشر لعلاج الأفراد والمجتمعات من العلل النّفسية والعضوية، ولعل نقطة البداية تكمن فِي أنه

(١) انظر: روضة المحبين (٦٠٠/١٣)، الوابل الطيب (ص٤١).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٦٨/١٦).

(٣) انظر: اتباع الهوى (ص١٨).

(٤) انظر: الإبانة لابن بطة (٤٤١/٢)، الهوى وأثره في الخلاف (ص١٠).

لا يوجد مرض نفسي أو عضوي إلا بسبب خلل حدث فِي الإنسان أو المجتمع، والقرآن الكريم أكبر مصحح لجوانب الخلل النّفسي والاجتماعي عند المريض بتصحيح أوضاعه وسلوكه، بالعمل أو بالأسرة أو بالمجتمع الَّذي يعيش فِيهِ(١).

وبهذا يظهر أن القرآن الكريم استهدف النفس الإنسانية وأولاها جل عنايته، فهو يريدها هاديا لها، وموجها يبتغي إصلاحها، وحفظها من السوء. فأرشد إلى طرق الوقاية من الآفات النفسية وطريقة علاجها.

المطلب الثّاني: توجيهات قرآنية للنفس الإنسانية

الإرشاد والتوجيه النّفسي القرآني طريقة من الطّرق الإرشادية الَّتِي تستخدم فِي إصلاح عيوب النّفس وإرجاعها إِلَى فطرتها السّليمة الَّتِي فطرها الله عَلَيْهَا(٢) ولا شك أن فِي القرآن طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشّأن فِي نفس الإنسان، فهو يهز وجدانه، ويوقظ إدراكه وتفكيره ويجلي بصرته، فإذا بالإنسان بعد أن يتعرض لتأثير القرآن يصبح إنسانًا جديدًا ودليل ذَلِكَ قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

والله عز وجل قد أنزل فِي كتابه الكريم منهجًا يساعد الفرد عَلَى بناء ذاته، والارتقاء بِهَا فِي مرضاته سبحانه، وأرشده إِلَى ما يحقق الضّبط الدّاخلي لنفسه ضد الأهواء.

أولًا: الدّعوة إِلَى الإيمان بالله واخلاص العبادة لَهُ

إن إخلاص المسلم لله تعالى من القربات والطاعات الَّتِي تؤدى، والتي يتحصل بِهَا الحفظ والحماية من الله لعباده المخلصين، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤]. قال الرّازي فِي تفسيره قوله: "(المخْلَصين) وفيه قراءتان: تارة باسم الفاعل وأخرى باسم المفعول فوروده باسم الفاعل يدل عَلَى كونه آتيًا بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص. ووروده باسم المفعول يدل عَلَى أن الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته، وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل الألفاظ عَلَى كونه منزهًا عما أضافوه إليه... وقوله (إنه من عبادنا المخلصين) فكان هَذَا إقرارًا من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريقة الهدى"(٣).

---

(١) انظر: مقال إلكتروني في محرك البحث الإخباري مصْرِسْ بعنوان: أثر القرآن الكريم على الصحة النفسية وسلامة البدن، رابط: https://www.masress.com/albedaya/5741

(٢) انظر: الإرشاد النفسي الديني في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة (ص١٠).

(٣) انظر: تفسير الرازي (١٨/٤٤١).

ولا أنفع للقلب من التوحيد واخلاص الدّين لله ولا أضـــر عَلَيْهِ من الاشـــراك، فإذا وجد حقيقة الاخلاص الَّتِي هِيَ حقيقة (اياك نعبد) مع حقيقة التوكل الَّتِي هِيَ حقيقة (اياك نستعين) كان هَذَا فوق ما يجده كل أحد لم يجد مثل هَذَا[1]. فعباد الله المخلَصين لا يغويهم الشّيطان، والغي خلاف الرّشد وهو اتباع الهوى، فمن مالت نفسه إِلَى محرم فليأت بعبادة الله كما أمر الله تعالى مخلصًا لَهُ الدّين فإن ذَلِك يصرف عنه السّوء والفحشاء.

وإخلاص الدّين لَهُ يتضمن خشيته ومحبته والعبادة لَهُ وحده، وهَذَا يكون مانعًا للسيئات من الوقوع إذا كان تامًا. فإن كان ناقصًا فوقعت السّيئات من صاحبه كان ماحيًا لَهَا بعد الوقوع[2].

ويحدد الله سبحانه وتعالى غاية الإنسان من هَذِهِ الحياة الدّنيوية، حتى يعلم البشر، لماذا خلقهم الله تعالى فِي هَذِهِ الدّنيا؟ فيقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] فهَذِهِ الغاية الَّتِي خلق الله الجن والإنس لَهَا، وبعث جميع الرّسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عَلَيْهِ، والإعراض عما سواه[3]، وهَذَا التحديد الإلهي لرسالة الإنسان فِي هَذِهِ الدّنيا يجعله عارفًا بطريقه الواضح الفطري السّليم دون لبس أو تلبيس، فلقد أعلمه الله بِهِ، فليس لَهُ عَلَى الله حجة بعدما أرسل إليه الأنبياء والمرسلين ليبشروه ولينذروه، وليوضحوا لَهُ ما غمض من أمر هَذِهِ الدّنيا، بحيث يصبح كل شيء واضحًا أمامه، وأنه مسؤول عن أفعاله وأعماله بعد توجيهه وإرشاده إِلَى طريق الله.

ثانيًا: ذكر الله

وهَذِهِ العبادة تدخل فِي جميع العبادات وتشمل جميع أوقات المسلم وتلازمه فِي كل أحواله، فإنه يجلو صدأ القلوب ويذهب ما ران عَلَيْهَا من آثام ويزيد من قرب الإنسان لربه لا سيما إذا كان مستشعرًا للذكر. فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصّدأ متراكبًا عَلَى قلبه، وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فِيهِ صور المعلومات عَلَى ما هِيَ عَلَيْهِ فيرى الباطل فِي صورة الحق والحق فِي صورة الباطل، لأنه لما تراكم عَلَيْهِ الصّدأ أظلم فلم تظهر فِيهِ صورة الحقائق كما هِيَ عَلَيْهِ.

فإذا تراكم عَلَيْهِ الصّدأ واسود وركبه الرّان فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقًا ولا ينكر باطلًا. وهَذَا أعظم عقوبات القلب[4].

---

(١) انظر: الزهد والورع والعبادة (ص٨٣).

(٢) انظر: تزكية النفس (٣٦).

(٣) انظر: تفسير السعدي (ص٨١٣).

(٤) انظر: الوابل الصيب (ص٤٠).

ومن الآيات الَّتِي تحض عَلَى الـذّكر قولـه تعـالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢]أي اذكروني عند كل أموركم فأذكركم حينئذ بالثواب، وعبر عن ذَلِكَ بالذكر للمشاكلة؛ ولأنه نتيجته ومنشؤه(١).

وللذكر فوائد عظيمه ذكرها ابن القيم فِي الوابل ومنها: أنه يطرد الشّيطان ويقمعه ويكسره وينور الوجه والقلب، ويقوى القلب والبدن ويجلب الرّزق ويكسو الذّاكر المهابة والحلاوة والنضرة وأنه يورثه المحبة الَّتِي هِيَ روح الإسلام وقطب رحى الدّين ومدار السّعادة(٢).

فذكر الله من علامات القلوب العامرة بالإيمان؛ إذ إنه يبدل الخوف أمنًا والعداوة محبة ويحول القلق والجزع والاضطراب إِلَى سكينة والفزع والرعب إِلَى طمأنينة.

ثالثًا: محاسبة النّفس

فمحاسبة النّفس تعني النّظر والتأمل فيما عمل المسلم، وما قدم من خير أو شر، مع النّظر فِي النّية والقصد، فلا بد لكل مسلم أن يكون لَهُ مواقف مع نفسه يحاسبها، ويعاتبها ليأمن شرها ويتحكم فِي قيادها.

وقد دل عَلَى وجوب محاسبة النّفس قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر: ١٨] يقول تعالى: لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال أمن الصّالحات الَّتِي تنجيه، أم من السّيئات الَّتِي توبقه؟ والمقصود أن صلاح القلب بمحاسبة النّفس، وفسادها بإهمالها والاسترسال معها.

والتقوى حالة تجعل القلب يقظًا حساسًا شاعرًا بالله فِي كل حالة، خائفًا متحرجًا مستحييًا أن يطلع عَلَيْهِ الله فِي حالة يكرهها، ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ١٨﴾ [الحشر: ١٨] وهذا التأمل كفيل بأن يوقظه إِلَى مواضع ضعف، ومواضع نقص، ومواضع تقصير، مهما يكن قد أسلف من خير، فكيف إذا كان رصيده من الخير قليلًا؟!

وفى محاسبة النّفس عدة مصالح مِنْهَا: الاطلاع عَلَى عيوبها، ومن لم يطلع عَلَى عيب نفسه لم يمكنه إزالته، فإذا اطلع عَلَى عيبها مقتها. فهو فِي جهاد مع نفسه؛ تغلِبُ نفسه ضميره ثم تندم عَلَى ما وقع مِنْهَا وتحاول أن تسلك سبيل الهدى، فتنجح مرة وتخيب مرة، فهي تكرر الذّنب ولكنها لا تنسى الله ولا تترك التوبة، فهَذِهِ هِيَ النّفس الَّتِي سماها الله النّفس اللوّامة(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية (٢٢٦/١)، تحفة الذاكرين (ص ١٦).

(٢) انظر: الوابل الصيب (ص٤١).

(٣) انظر: إغاثة اللهفان (ص٨٤)، نور وهداية (ص١٢٤).

فالذي يظهر أن القرآن الكريم جامع لكل ما يحقق الاستقرار للنفس الإنسانية؛ ففيه شفاء للقلوب، وأمن وأمان للنفوس. ولقد رسم القرآن منهجاً قرآنيا إن امتثل الإنسان به تمتع بالصحة النفسية، وحصّن نفسه من الأمراض النفسية، وجعل بوابة هذا المنهج عبادة الله وإخلاص العبادة له.

فالإيمان بالله من أقوى الطاقات المعززة للنفس البشرية؛ فهو يحقق الأمن والهداية للإنسان، ويحميه من مزالق خطرة، والانغماس في ملذات الدنيا.

الخاتمة:

تم بحمد الله وتوفيقه هذا البحث الموسوم بـــ"الإعجاز النفسي وآفات النفس الانسانية وعلاجها وتوجيهها في القرآن الكريم" ونضمنه هنا أهم النتائج:

١-أن تأثير القرآن الكريم فِي النّفوس لمن أوضح سمات الإعجاز النّفسي فِي القرآن الكريم.

٢-من جوانب الإعجاز النّفسي فِي القرآن الكريم ما يتعلق بخفايا النّفس الإنسانية كالحسد والكبر، والرياء، والهوى..

٣-القرآن الكريم جوهر الطّب النّفسي، وإنه معجز إعجازًا نفسيًّا.

٤-إرشادات القرآن للوقاية من الأمراض النّفسية؛ وذَلِكَ من خلال الإيمان بالله ومراقبته ومحاسبة النّفس.

وفي الختام أقول: إن عملي هَذَا جهد بشري لا يخلو من الخلل والقصور، فما كان فِيهِ صحة وصواب فمن الله وحده، وما كان من زلل أو خطأ فمن نفسي ومن الشّيطان أعاذنا الله مِنْه واستغفر الله من ذَلِكَ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

المصادر والمراجع:

اولًا: الكتب المطبوعة

الإبانة الكبرى لابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن مُحَمَّد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، تحقيق: رضا معطي، دار الرّاية للنشر والتوزيع، الرّياض، الطّبعة الثّانية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

الإتقان فِي علوم القرآن، عبد الرّحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: د، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

الأعلام، خير الدّين بن محمود الزّركلي، دار العلم للملايين، م: د ن، الطّبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢م.

إغاثة اللهفان فِي مصايد الشّيطان، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: مُحَمَّد عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطّبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

البرهان فِي علوم القرآن، بدر الدّين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزّركشي، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، م: د، الطّبعة الأولى، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

بصـــائر ذوي التمييز فِي لطائف الكتاب العزيز، مجد الدّين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: مُحَمَّد علي النّجار، المجلس الأعلى للشـؤون الإسـلاميّة (لجنة إحياء التراث الإسـلاميّ)، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن عبد الرّزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، م: د، ت: د.

تحفة الذّاكرين بعدة الحصـــن الحصـــين من كلام ســـيد المرســـلين، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشّوكاني اليمني، دار القلم، بيروت، الطّبعة الأولى، ١٩٨٤م.

تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، مُحَمَّد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، م: د، ط: د ١٩٩٠م.

بيان إعجاز القرآن، أبو ســـليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البســـتي الخطابي، تحقيق: **محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.**

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدّمشقي، تحقيق: مُحَمَّد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلمية، منشورات مُحَمَّد علي بيضون - بيروت، الطّبعة الأولى - ١٤١٩هـ.

تفسير القرآن، منصور بن مُحَمَّد السّمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرّياض، الطّبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

التفسير المنير فِي العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزّحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطّبعة الثّانية، ١٤١٨هـ.

التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

جامع العلوم والحكم فِي شـــرح خمســـين حديثا من جوامع الكلم، زين الدّين عبد الرحمن بن أَحْمَد بن رجب البغدادي الحنبلي، تحقيق: شـعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسـسـة الرّسـالة، بيروت، الطّبعة السّابعة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

جمهرة اللغة، مُحَمَّد بن الحســـن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، الطّبعة الأولى ١٩٨٧م.

دائرة معارف القرن العشرون، مُحَمَّد فريد وجدي، دار الفكر، بيروت، ت: د.

ديوان المبتدأ والخبر فِي تاريخ العرب والبربر ومن عاصـــرهم من ذوي الشّـــأن الأكبر، عبد الرّحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن خلدون، ولي الدّين الحضـرمي الإشـبيلي، تحقيق: خليل شـحادة، دار الفكر، بيروت، الطّبعة الثّانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

ذم الهوى، جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، م: د، ط: د، ت: د.

روضة المحبين ونزهة المشتاقين، مُحَمَّد بن أبي بكر شمس الدّين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: د.

الزهد والورع والعبادة، تقي الدّين أبو العباس أَحْمَد بن مُحَمَّد ابن تيمية الحنبلي، تحقيق: حماد سلامة، مُحَمَّد عويضة، مكتبة المنار، الأردن، الطّبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفكر الطّباعة والنشر والتوزيع، م: د، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

شفاء العليل فِي مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدّين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ط: د.

صحيح البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر النّاصر، دار طوق النّجاة، م: د، الطّبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

صحيح الجامع الصّغير وزياداته، أبو عبد الرّحمن مُحَمَّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٠٨هـ—١٩٨٨م.

العين، الخليل بن أَحْمَد البصري، تحقيق: مهدي المخزومي، د إبراهيم السّامرائي، دار الهلال، م: د، ط: د.

فتوح الغيب فِي الكشف عن قناع الرّيب، شرف الدّين الحسين بن عبد الله الطّيبي، جائزة دبي الدّولية للقرآن الكريم، الطّبعة الأولى، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

لسان العرب، جمال الدّين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، الطّبعة الثّالثة ١٤١٤هـ.

مختار الصّحاح، زين الدّين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر الرّازي، تحقيق: يوسف الشّيخ مُحَمَّد، المكتبة العصرية، بيروت، الطّبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

المستدرك عَلَى مجموع فتاوى شيخ الإسلام، تقي الدّين أبو العباس أَحْمَد بن عبد الحليم بن تيمية، م: د، الطّبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

مسند الإمام أَحْمَد بن حنبل، أبو عبد الله أَحْمَد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشّيباني، تحقيق: أَحْمَد مُحَمَّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطّبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

المصنف، أبو بكر عبد الرّزاق بن همام بن نافع الصّنعاني، تحقيق: حبيب الرّحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، الطّبعة الثّانية، ١٤٠٣هـ.

معارج القدس فِي مدراج معرفة النّفس، أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطّبعة الثّانية، ١٩٧٥م.

معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرّحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطّبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الدّاودي، دار القلم، دمشق.

مقاصد الرّعاية لحقوق الله عز وجل أو مختصر رعاية المحاسبي، أبو مُحَمَّد عز الدّين عبد العزيز الدّمشقي، الملقب بسلطان العلماء، تحقيق: إياد خالد الطّباع، دار الفكر، دمشق، الطّبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

مقاييس اللغة، أَحْمَد بن فارس بن زكرياء القزويني، تحقيق: عبد السّلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، م: د، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

مناهل العرفان في علوم القرآن، مُحَمَّد عبد العظيم الزرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، م: د، الطّبعة الثّالثة، ت: م.

الوابل الصّيب من الكلم الطّيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدّين ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطّبعة الثّالثة، ١٩٩٩م.

ثانيا: الكتب المصورة pdf:

اتباع الهوى، مُحَمَّد صالح المنجد، مجموعة زاد، الخبر، الطّبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

أسرار إعجاز القرآن، بقلم د. جمال مصطفى النّجار، الطّبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

مسلك الأتقياء ومنهج الأصفياء في شرح هداية الأذكياء إلَى طريق الأولياء، عبد العزيز حفيد زين المليباري، تحقيق: حامد عبد الله المحلاوي، كتاب ناشرون، بيروت، ط: د.

ثالثا: المجلات والبحوث العلمية:

بحث منشور في مجلة النجاح الوطنية، كلية الشريعة، **تأثير القران الكريم في نفوس سامعيه، محسن سميح**، نابلس.

بحث منشور في مجلة كلية دار العلوم، القاهرة وأصلها رسالة علمية بعنوان (إعجاز النّفس الإنسانية في القرآن الكريم صفاتها- مراتبها - علاج عيوبها)، العدد٩٣، لعام ٢٠١٦م.